[٤]

بومبيدو « العربي » ؟

بعد وفاة جورج بومبيدو الرئيس الثاني للجمهورية الفرنسية الخامسة في مطلع نيسان ، أجمعت غالبية الاوساط السياسية والصحافية العربية على اعتبار أنها فقدت « صديقا » آخر للعرب بعد ديغول بين الاصدقاء القلائل من زعماء العالم الغربي . فالى اي حد كان بومبيدو كذلك ؟ وما هو حقيقة موقفه من « المشكلة الفلسطينية »؟

حين برز فجأة على المسرح السياسي ودون أن يكون معروفا في الاوساط الواسعة ، بعد تعيينه رئيسا للوزارة الفرنسية بعد انتهاء حرب التحرير الجزائرية عام ١٩٦٢ ، لم يكن ماضيه يؤهله لاي موقف مسبق من القضايا العربية ، او حتى ربما كان يؤهله لموقف عدائي منها . ذلك انه شغل منذ عام ١٩٥٦ وحتى توليه رئاسة الوزارة منصب المدير العام لبنك روتشيلد (بنك غي دو روتشيلد رئيس الصندوق الاجتماعي اليهودي الموحد وأحد زعماء الحركة الصهيونية الفرنسية البارزين الذي ربطته ببومبيدو منذ مطلع الخمسينات صداقة حميمة)(١).

الا ان بومبيدو كان قبل كل شيء «رجل ديغول». ومنذ اواسط الاربعينات ، بعد تحرير فرنسا من الاحتلال النازي ، وهو من المقربين « للجنرال » يستشيره في القضايا الاساسية ويوكل اليه المهام الحساسة ، كل ذلك بعيدا عن الضوء والمعترك السياسي العام الذي لم يكن يلائم شخصية ابن فلاحي مرتفعات فرنسا الوسطى(١). وهكذا تولى بومبيدو في مطلع الستينات المحادثات السرية التمهيدية مع جبهة التحرير الجزائرية التي أدت فيما بعد الى لقاءات واتفاقيات ايفيان .

وبعد استلامه مقاليد رئاسة الوزارة ، عمل بومبيدو خلال ست سنوات في هذا المنصب في ظل ديغول الذي كان يشرف شخصيا على السياسة الخارجية الفرنسية . وكان الجنرال قد اختار بعد تخلصه من الحرب الجزائرية المرهقة ان يبدأ انفتاحا تدريجيا على العالم العربي ، بدأت معالمه تتضح في اواسط الستينات ، ثم توج بعد حرب حزيران ١٩٦٧ بالموقف العلني المدين للعدوان الاسرائيلي وبحظر شحن الاسلحة عن اسرائيل فيما بعد . وكان بومبيدو ينفذ سياسة الجنرال دون أن يعبر عن موقف شخصي علنا حتى في فترة ابتعاده القصيرة عن الحكم بين صيف ١٩٦٨ وانتخابات الرئاسة في حزيران ١٩٦٩ . ولكنه عبر مرات قليلة في تلك الفترة عن تفهمه وتأييده للسياسة الديغولية في المنطقة العربية ، بينما اظهر في الحملة الانتخابية بعض اللين تجاه اسرائيل توقع منه البعض تحولا باتجاه تحسين العلاقات مع الدولة الصهيونية(٢).

وبالفعل فقد برزت بضعة تحركات بهذا الاتجاه. ففي تموز ١٩٦٩ ، اي مباشرة بعد انتخابه رئيسا للجمهورية ، اعلن استعداد فرنسا للعودة الى حظر « انتقائي » على شحن الاسلحة لاسرائيل كما كان الوضع قبل الاعتداء على مطار بيروت . ويبدو ان هذا الاجراء الذي ينص عمليا على اعادة شحن قطع الغيار وما يسمى « بالمعدات الدفاعية والمعدات ذات الطاقة الهجومية المتدنية(٢)، قد طبق عمليا . كما أبدت فرنسا في اطار السوق الاوروبية المشتركة تساهلا اكبر من السابق تجاه طلب اسرائيل بعقد اتفاق تفضيلي، تم التوقيع عليه في اواسط ١٩٧٠ .

الا انه يبدو ان هذا اللين لم يؤد الى تغيير جوهري في السياسة العربية لبومبيدو . وذلك يعود قبل كل شيء الى المصالح المتعاظمة لفرنسا في العالم العربي بحكم اعتمادها شبه المطلق على استيراد النفط العربي ، واهمية السوق العربية كمستورد هام للسلع الفرنسية ، الصناعية خاصة والحربية بشكل متصاعد . ولا بد من الاشارة الى ان فرنسا تحتل المرتبة الاولى في كلا الجدولين التصديري والاستيرادي للدول العربية مجتمعة . وقد أكد بومبيدو في مؤتمراته الصحافية اكثر من مرة على « المصالح الفرنسية المعنوية والمادية الكبرى في المتوسط »(٢) والعالم العربي بشكل خاص .

واضافة الى هذا العنصر الاساسي الذي سيبقى دون شك عنصرا حاسما في السياسة الخارجية الفرنسية لسنوات مقبلة عدة ، يشير بعض المحللين الى استياء بومبيدو من التصلب الاسرائيلي في « مشكلة الاراضي العربية المحتلة » وبعض مظاهر التحدي الاسرائيلية الصهيونية ، «كخطف»